مستقبل سورية وسائر البلاد العربية(*)

(٥)

خطب مؤسسي اتفاق سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧

خطبة موسيو بيكو في دمشق

القى موسيو بيكو معتمد فرنسا السامي في سورية هذه الخطبة في حفلة أعدت له ولزميله السر مارك سيكس في النادي العربي بدمشق ونشرت جرائدها ترجمتها فنقلها المقتطف في عدد ٢٣ ربيع الآخر — ٢٥ يناير (ك ٢) الماضي عن «المقتبس» الدمشقية وهذا نصها:

أيها السادة

لم أكن أنتظر بعد ان قضيت أياما عديدة وساعات كثيرة في السفر على متون القطارات والسيارات أن أصل الى دمشق فأشهد هذه الحفلة الجميلة التي ضمت خير الرجال والشبان بيد اني لم أستغرب هذا الامر من صديقي السر مارك سايكس الذي عودني ان يفاجئني بهكذا حفلات مستغلا هذه الفرصة التي سنحت لاهنئ الحكومة العربية بما نالته من الاستقلال الذي جاهدت الامة العربية وقاتلت في سبيله

انضمت الحكومة العربية الى الحلفاء زمن الحرب وقاتلت معهم لكونها عرفت قدسية المبدأ الذي يقاتلون عنه فهي بعملها هذا تستحق الشكر وانني باسم فرنسة أشكر الامة العربية والحكومة العربية لجهادهما

انتهى دور الحرب ودخلنا في دور جديد دور العمل والاجتهاد ولا أظن ان الدور الجديد يقل في خطورة شأنه عن دور الحرب خصوصا وان أعداءنا واعداءكم لا يزالون موجودين فلذلك يجب ان نكون متفقين متحدين

أخذت برقية بالامس من فرنسة جاء فيها ان الامير فيصل قابل المسيو كلمنصو

(*) تابع لما في الجزء الاول

مقابلة طويلة انتهت باتفاقهما على جميع المبادئ والآراء ولم يوجد بينهما أثر من آثار الاختلاف

اتحدنا زمن الحرب وعملنا معاً للوصول الى النتيجة فلذلك يجب أن لا يكون اتحادنا وقتيا بل ثابتا وطيداً لتنال الامة العربية ثمرة أتعابها وتقطع مع دول الحلفاء العقبات ويكون مبدأ تحدنها ورقيها

انا نرى في الزمن الحاضر زمن المذاكرات الصلحية كثيرا من الاعداء ونصادفهم أينما حللنا وذهبنا

ان هؤلاء الاعداء أتراك يعملون لمصلحة التركية وقد شاهدناهم يعملون أعظم الاعمال في أوربة ضدي أنا والسير مارك سايكس

شاهدناهم في دار نظارة الخارجية يقولون للفرنسويين لا تؤمنوا للعرب ولا تصدقوهم ولا تنتظروا منهم ان يؤلفوا حكومة، وسمعناهم يقولون للانكليز لا تتفقوا مع الفرنسويين ولا تمدوا يدكم اليهم ولا تساعدوا العرب — فلذلك يجب أن نعرف هؤلاء الدساسين فيما يتكلمون به

قال أحد الخطباء انا الآن في دور جديد وعلينا واجبات جمة . لقد صدق أيها السادة فان الامم التي كافحت مع العرب للوصول الى هذه النتيجة نتيجة الظفر العظيم قد ولد فيها فكر جديد وشعور جديد لم يكونا لها من قبل — ذلك الشعور شعور الاستقلال والحرية للامم

يجب أن تقاوموا كل من يخالف هذا المبدأ ان كان تاجرا يعمل لرواج سلعته أو صحافيا يشتغل لترويج صحيفته، وان تدكوا كل المصاعب والعقبات التي تحول دون اتفاق الشعوب العربية أي كل من ينطق بالعربية، لان الاديان لا تكون مانعة للاتحاد ولا تسمحوا للمفسدين الذين يحاولون تفريق وحدتكم وكلمتكم

ان فرنسا لم تخصص غمار هذه الحرب لصد عادية الالمان عن بلادها فقط بل لتأييد مبدأ الحرية والاستقلال ولترى كل أمة تعيش متمتعة الاستقلال وان يكون لها الحق باختيار طريقة الحكم الذي يريده

التحاب مطلوب وخصوصا بين الامم التي حاربت جنبا لجنب، وان فرنسا

لا تميل قط الى الرجل الذي يأتيها و يقول لها اني أحبك أكثر من وطني — لانه منافق لا يعرف أن يحب فترده وتقول له اذهب وحب وطنك أولا - وان أعظم سرور لفرنسا هو ان ترى الامة العربية متحدة متفقة والحكومة العربية مستقلة وانها أي فرنسا مستعدة لمساعدتها . واذا كانت أوربا فرنسا ان تساعد الحكومة العربية فهي مستعدة لايفائها باخلاص ويسرنا ان نرى الحكومة والامة العربية ناجحة نامية باذن الله » اه

خطبة السر مارك سايكس في دمشق

والقى السر مرك سيكس في تلك الحفلة نفسها وقد نقل المقطم ترجمتها في عدد ٢٥ ربيع الآخر ٢٧ يناير عن جريدة البلاغ البريطانية الغراء وهو

« بسعادة الحاكم وياحضرات المجتمعين: سأتكلم بصعوبة هذه الليلة فقد سمعت أمرين أوقعاني في الاضطراب فالامر الاول انني سمعت أحد الخطباء يقص على حضراتكم تاريخ حياتي ويظهر انه حفظ شيئا منه حتى خشيت أن يتكلم عن صباي ولكنني أقول بكل ارتياح ان معلوماته كانت قاصرة من هذه الجهة. والامر الذي أحرج مركزي ذكره انني طفت البلاد العربية التي تبلغ مساحتها ٧٠٠٠٠٠ ميل ولا أقدر أن أخطبكم باللغة العربية . ووصفني خطيب آخر بالبطل الساكت وهذا الوصف جيد ومطابق جدا اذا كان موجهاً لقائد عسكري ولا يكون مطابقا اذا نعت به أحد السياسيين لان السياسي متكلم بالطبع

لا أقيد الشرق بهذا الكلام وانني أريد أن القي عليكم أمرا هذه الليلة :

ان يومكم هذا يوم مشهود اذ سيفتتح فيه مؤتمر الصلح (على ما أظن) الذي ستقرر فيه أعمال مهمة وتدبر فيه شؤون الكون لمدة قرنين

منذ أربع سنين والحرب العامة تتلمم كبار العالم ومشاهيرهم وانا نحزن عهد اخواننا الذين ذهبوا ضحيتها — ولا نظنهم يقلون عن ٥ — ٦ ملايين — اذا لم نعمل بتؤدة. لافرق عندي في المحللات ولا ما كنت الى التمييز بين حتفهم فالنتيجة واحدة وهي مفارقتهم هذا العالم سواء قضى الفرنسوي بفرنسا أو قضى البريطاني في فلندرز أو في العراق أو في هذه البلاد بلادكم . أو قضى ذلك البحري الذي كان يقطع أجواز

البحار وهو أعزل من السلاح يحمل المبرة الى المحاربين في أنحاء المعمورة — في البر أو البحر، أو من رجالكم الذين جاهدوا في سبيلكم، أو كانوا من النساء والاولاد الذين أخرجوا من ديارهم في المدينة المنورة وأرمينية منفيين وقتلوا في الصحراء — فان كل واحد من هؤلاء مات بسبب واحد ولغاية واحدة. وعلينا أن نعتقد أن هؤلاء الابرياء لم يكونوا سوى ضحية التمرد الذي ماتوا في سبيله وهو أن الشعوب المظلومة تريد أيامها وأن العالم ينال سلاما عاما دائما — تلك هي الغاية العظمى التي ماتوا لاجلها

ولنأت الآن الى تشريح أقسام هذه الغاية ومنها ماهو أمامنا

هذه مدينتكم دمشق التي كانت مطلع التمدن في الزمن الماضي أصبحت متأخرة خربة، وبعبارة أخرى متقهقرة، وهذا المكان ربما كان ملك أحد أولئك الاقوام الذين ضحوا أنفسهم. واذا نظرنا الى هذه البلاد نظرة عامة لا نرى سوى خرائب ونشاهد آثار الحكم الجائر خلال ٤٠٠ سنة تحكم فيها الاتراك. واذا أمعنا النظر أكثر من ذلك نجد شيئاً آخر لم يتمكن التركي نفسه من تخريبه

ان هذا الميل الطبيعي الى الاتجار والاستثمار الذي بني تدمر — والشجاعة والحكمة اللتين اتصف بهما العرب — وتلك الصفات صفات الشجاعة والاقدام التي كانت ملازمة لخالد بن الوليد لاتزال للجندي العربي، وان الرجولية والشهامة التي اتصف بها صلاح الدين لاتزال للعرب

ان الميل الى الشعور والآداب الذي أوجد الشعر القديم وكان الباعث على وضع كتب التصوير والنقوش التي تعلمناها نحن منكم لا تزال موجودة عندكم. وان الميل الى العلم الذي شيدت أركانه في بغداد وقرطبة والذي نقلناه نحن الاوربيين عنكم لا يزال لكم

ان الطبيعة قد وهبتكم هذه الهبات التي فطرتم عليها فلا التركي ولا العفريت ولا الشيطان يستطيع نزعها منكم

والآن أنتقل الى الامر الآخر. ان هذه الهبات موجودة لديكم أولا وآخرا فان العرب هم الذين أفاضوا روح التمدن على العالم كله ونشروا ضياء العلم الساطع، ولكن ويالسوء الحظ ان زمن النور الذي انبثق من جانب العرب كان قصير المدى

دققوا في التاريخ واسألوا أسفاره تخبركم أن الممالك العربية كانت قصيرة الاعمار لم يمتد زمن ملكها طويلا فلم يسد الهاشميون ولا الامويون ولا العباسيون اكثر من قرن أو قرنين وتأملوا أن هرون الرشيد ذلك الخليفة الذي مات حاكما لجميع البلدان — قد أباد ولداه ذلك الملك العظيم. فعليكم أن تحاذروا الوقوع في مثل هذا الامر ولا تدعوا نهضتكم تكون قصيرة العمر

ان نهضتكم السابق كان مثل ينبوع ماء عذب تفجر في الصحراء فوق أرض رملية صخرية فلم يمض عليه قليل حتى أنبت أزهارا ونباتات ثم علت الغزالة فأحرقت تلك الازهار وعادت تلك القفار الى حالها وهذا كان خطؤكم العظيم

في رايتكم شارة سوداء فلتكن هذه الشارة رمزا يذكركم بالماضي ويحذركم من الوقوع فيه ويدعوكم للاجتماع والاتحاد، فكفاكم ٤٠٠ سنة قضيتموها في الظلم والاستبداد. لقد مضى هذا الدور والحمد لله فقابلوا المستقبل بثبات وعزم وشجاعة وانظروا الى باطن الارض وتأملوها واستخرجوا كنوزها ومخبآتها

أنظروا الى القرى انظروا الى كثرة وفيات الاطفال انظروا الى هذه الطرقات الخربة انظروا الى هذه العاصمة العظيمة والى أية حال وصلت من الخراب مع انها ربما كانت أغنى مدينة في العالم

اذا أحييتم احياء هذه الاراضي فهي تحتاج الى جميع قواكم وقوانا نحن العلماء أيضا لنحيا حياة طيبة سعيدة طويلة لا قصيرة تتجاوز المائة أو المائتين أو الثلاثمائة قرن [كذا ولعل أصله سنة] وأرجوكم بعد ذلك ان تضعوا ثقتكم في أمر واحد هذا الامر هو الفكر الجديد الذي انتشر في أوروبا

اعلموا جيدا ان السياسة الاوربية قد تغيرت نحو الشرق وان السياسة السرية والاستعدادات الحربية التي قادت أوروبا الى هذه الحرب الطاحنة قد ذهب زمنها وانه توجد روح جديدة تنتشر في أوروبا، وان الاوربيين لا يفكرون في توسيع ممالكهم بل في تمدين الامم الذين حاربوا لاستقلالهم

وأرجو منكم قبل الجلوس أن تذكروا جيدا في مستقبل أبنائكم الذين لم يولدوا بعد، وفي أجدادكم الذين ماتوا من قبل والسلام عليكم. اهـ

خطابا بيكو وسايكس في حلب

زار علي رضا باشا الركابي الحاكم العسكري للشام والمسيو جورج بيكو مندوب فرنسا والسر مارك سايكس مندوب انكلترا مدينة حلب فأقام نادي العرب حفلة اكراما لمسيو جورج بيكو ممثل حكومة فرنسا حضرها الشريف ناصر والحاكم العسكري العام ورجال الحكومة العربية وكثير من ممثلي دول الحلفاء وجم من العلماء والادباء والرؤساء الروحيين والاعيان فابتدأ الكلام رئيس النادي مرحبا بالقوم وتلاه أحمد افندي الابري فألقى خطابا بديعا ثم خطب بالافرنسية يوسف افندي مركيس ونهض بعده مسيو جورج بيكو والقى خطابا بالافرنسية عربه أمين افندي غريب جاء خلاصته: (١)

خطبة مسيو بيكو

حضرة الحاكم العام وأيها السادة

أشكركم كثيرا لانكم سمحتم لي اليوم بأن آتي وأحمل سلام فرنسا الظافرة الى ممثلي الحكومة العربية العظيمة اذ ليس لنا بهجة في هذا الظفر أعظم من رؤية مثل هذا المحفل فهو بداية عمل كريم ينتج عن الحرب هو انتهاء الاستبداد التركي وتقرير الحرية لشعب عظيم يشيد رجال عظام

كل يعلم ماهي الاسباب التي جعلت هذه الحرب حربا خاصة بفرنسا اذ قد كان منذ سبع وأربعين سنة في جنبنا جرح غير مندمل وكان لا بد لنا من الانتقام ولكن كنا نجتنب الحروب لشدة هولها على الانسانية فلما جاء اليوم الذي تجمعت به القوى البربرية في العالم اضطررنا الى محالفة قوى التمدن ابقاء عليه من الشر المحدق به فانضمت الينا انكلترا ثم العرب ثم ايطاليا ثم أميركا وبقية كل منهم الوصول الى يوم يأمن فيه كل شعب على حريته واستقلاله (تصفيق حاد)

لا شيء يرضي فرنسة ويسرها كرؤيتها حكومة نشأت بالامس وأخذت تتقدم وترتقي يوما بعد يوم في هذه الاماكن المحررة من الاستعباد وغدا مع تمام

(١) منقول عن العدد ٢٨ ربيع الآخر الماضي ٣٠ يناير (كانون الثاني) من جريدة الاهرام

الصلح لا بد أن يزول الحكم العسكري الذي ترونه اليوم مع مناطقه الحاضرة التي اقتضتها ضرورات الحرب فيطل عليكم نور يوم جديد وعظيم فليوحد العرب جميعا كلمتهم ومساعيهم من حلب حتى أقاصي الصحراء ولينبذوا كل شقاق مهما اختلفت عقائدهم أو عاداتهم وليبذلوا ما بوسعهم من الاقدام امام هذه الغاية المنشودة

«حاربت فرنسا أربع سنوات توصلا للنتيجة التي نراها الآن ولها الطالع الاسعد بأن ترى الحكومة العربية شديدة الازر محترمة من الجميع وتحل بالاتفاق المتبادل جميع المسائل التي يشكلها عمران سورية وحرية اتصالها بالبحر لان اتصالها بالبحر ضروري ولا بد لها منه (؟) ولكن يجب عليكم يارجال سوريا ومستقبلها البراق أن توحدوا كلمتكم لتبلغوا هذا النجاح اذ أنكم محاطون بالاعداء الذين رأيتهم أنا والسير مارك سايكس حيث كنا نجهر بحقوقكم أمام أوربا فكانوا يتذرعون لاحباط مساعينا متلبسين بزي الاصدقاء فما آوا الا بالفشل اذ صممت الحليفتان على الاعتراف بحكومة عربية كبيرة مستقلة » اه

خطبة السر مارك سيكس بحلب

ونهض بعده السير مارك سايكس فقال :

«أيها السادة الكرام والمسيو جورج بيكو المحترم: أتكلم اليوم وأنا مرتاح الضمير اذ حزت الانتخاب في مجلس الامة فأصبحت قادرا على اتمام العمل الذي زاولته من أجلكم

«طرق مسامعكم الآن ما قاله المسيو جورج بيكو وأزيده تأكيدا انه قل أن يشتغل انسان كما اشتغل هو في معاونة المبدأ العربي وقد ظهرت نتائجه جلية

«تذكرون ماهي الايام السوداء التي اضطررنا لاجتياز مراحلها فان الايام السعيدة التي نحن فيها الآن لاتنسينا مكاره تلك الايام ومتاعبها التي كان يشاطرني مضضها المسيو بيكو الذي لم يقنط قط من نجاح المبدإ العربي رغم ما كنا نلاقيه من العراقيل الجمة وأهول بها من عراقيل لان العدو اذ ذاك المانيا وجيشها الجرار الذي هو اكثر جيوش العالم انتظاما

«كانت بريطانيا سيدة البحار وما كان يخطر على بالها ما كانت تدبره لها عدوتها المانيا من المكايد البحرية ألا وهي الغواصات

ان العدو الذي كنا نعاديه هو ذلك القادر ذو العظمة والجبروت (المانيا) فمن ذا الذي يستطيع أن يقول سواء كان انكليزيا أو عربيا أو افرنسيا أو ايطاليا أو أميركيا أنا الذي أنزلت المانيا من حالق عظمتها وضربت خزانة كبريائها . لا يستطيع أحد أن يدعي هذه الدعوى وانه لم يقهرها الا الله وحده ، ان القدرة الالهية التي منحتنا هبة النصر العظيمة تأمرنا بالمحافظة عليها والانتباه كيف يقتضي أن نستفيد منها لاننا اذا أسأنا استعمالها فهي تستردها منا

والآن أريد أن أقدم كلمة على سبيل النصيحة لكافة الحاضرين هنا ممن يتكلم بالعربية وهي قصيدة (اذا)

وعندها أنشد قصيدة لاحد شعراء الانكليز عنوانها (اذا) ضمنت من الحكم الرائعة ما أصاخ له الجمهور وقابله بالاستحسان. وعقب ذلك نهض توفيق افندي شامية والقى خطابا بديعا وانفضت الحفلة والجذل باد على أسرة الحفل » اه ما في الاهرام

(٦)

أقوال جرائد الحلفاء

رأي حكومة الحجاز

جاء في آخر مقالة افتتاحية طويلة نشرت في العدد ٢٤٠ من جريدة القبلة التي صدر في مكة المكرمة يوم الخميس ١٥ ربيع الاول ما نصه :

« وهاتقطعها الاغر ينقل لنا في عدد ٩٠٣٨ الصادر بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٣٧ من تصريحات أم صحف العالم وأكبر مثل الشعب البريطاني الذي أثبت فضله على العالم ومنته على مجتمعه ولا حرج بمواقفه وثباته وتفوقه السياسي والحربي والمالي امام أهوال ستبقى هذه الاربع من حسن نواياها وآمالها وماتريده ثقة واعتماد على معاشر العرب بقرلها من بحث (مسألة القدس التي كانت ترمي الى تسديد تركيا وشد أزرها على أعدائها وأخذنا نحاول البحث عن بديل حر يحل محل السلطة العثمانية البالية الفاسدة ، ومن هؤلاء الابدال الذين يحلون محل تركيا العرب أما سواهم